MAJD ABU AMER

مجد أبو عامر

مقبرة لم تكتمل

شعر

دار خطى للنشر

مقبرة لم تكتمل

دار خُطى للنشر

مقبرة لم تكتمل – مجموعة شعرية
مجد أبو عامر: كاتب من فلسطين
الطبعة الأولى: 2018
حقوق النشر محفوظة

دار خطى للنشروالتوزيع

لوحة الغلاف: **Self Portrait – Egon Schiele**
تنسيق ومتابعة: **محمود الشاعر**
التصميم والإشراف الفني: **محمود ماضي**

CONTACT US:
website: www.khotabook.com
E-mail: info@khotabook.com
Facebook: FB.com/khotabook
Mob.: 0597888638 - 0595885856

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الترقيم الدولي ISBN
9781387759439

مجد أبو عامر

مقبرة لم تكتمل

شعر

هذا الديوان

هنـا «المَعرّي» الصغـير، صاحب البصيرة النافـذة، القادر عـلى الانسراب تحت جلد الحياة، والعبور إلى سـويداء قلبها، والذي وجده فاحماً مليئاً بالحزن المُعتّق.

هنا شـاعر حقيقي اجتمع في نصّه؛ التأمّل وحساسية اللغة والحمولة المعرفية، وهذا بتضافره، يُنتج لنا نصّاً مكثّفا جامحاً، يمتلك أدوات الحفر.. للوصول إلى الحكمة المُقطّرة.

مجـد أبـو عامـر؛ اليتيـم النبيـل، الـذي فَقَـد أُمَّـهُ صغيراً، وتسـاوت، في مدينته غزّة، الحياة مع الموت، هو نفسـه، الذي يقاوم رغبته في وضع حدٍّ لحياته.. كما قال كافكا.

والشـاعر هنا، على صغر سِنّه، فيلسـوف، يدرج على أوّل طريق التأمّل الفسـيح، فيلتقط الخُلاصات، ويقدّم النهايات، بجسـارة، تتجاوز السـائد والمحظـور أحيانـاً، ويتغيّا أراضيَ

جديدة، يدخلها ويُسلّط أضواء المعرفة والكشف الحصيف الهادئ.. عليها وفيها، ليقدّم لنا نصّاً تتراءى خلفه عذاباتُ غزّة المُحاصَرة، دون زعيق أو فجاجة أو خطابية مبتذلة، كما تُوصلنا الثيمة المسيطرة في هذه المجموعة الشعرية، وهي فكرة الموت بكل مفرداته من حزن وسواد واغتراب وانفكاك عن البشر المكرورين الممقوتين، ليتسيّد الحزنُ بجلاله الثقيل، وغبشه الذي يشفّ عن رؤية يقظة عارفة بالحياة.

وأرى أن الشاعر، هنا، قد أكّد، بكل اقتراحاته الجمالية في مجموعته الشعرية هذه، أنّ الشِعر أكبر من أشكاله، وأكثر اتساعاً وأهميةً من مدارسه ونقّاده. كما أرى أنّ قصيدته، التي اتكأت على الهايكو في أحايين كثيرة، قد جعل من هذا الشكل المُختَصر القصير صيغةً شعرية جمالية، أضاف عليها من خصوصيته وروحه.. وهذا، ربّما، ما يؤكّد على أهمية هذه المجموعة الشِعرية، التي تُنبئ بشاعرٍ.. ستكون له خطوته المتقدّمة واللافتة، في درب الكلام المجيد.

المتوكل طه

«أمضيتُ حياتي أقاوم رغبتي في وضع حدٍّ لها».

فرانز كافكا

اعتذار

آسفٌ لأجلك يا ورق
لأنني لوثتك بهذا البلغم
الذي سقط من فمي
فصار حبرًا.

آسفٌ أيها القارئ
لأن الديوان خيّبك
أو أعجبك.

إلى من بقي معي
وظلّ بعد موتي
إلى من حملته وحملني
على وحشة الحياة
إلى حزني.

مفتتح

الشعرُ
تبديد دماء الأرقِ
على ورق.

كلما مات شاعرٌ
نقص
عدد المنتحرين.

ينجو العالم
من موت شاعر
كلما أنهى قصيدة.

كل كتابةٍ ناجحة
محاولة انتحارٍ فاشلة.

الوقتُ يقتل الوقتَ
تمامًا
كما تفعلُ القصيدة
بنفسها.

حزنٌ يبحث عن جسده

هكذا أمضي مثل زنزانةٍ
ظلًا لحزنٍ
يلاصقني كشبحٍ
يُذعرني غيابه.

تَصدمني عربةٌ
أو رصاصة
يموتُ غريبٌ لا أعرفه
فأدّعي صداقته
لا تقعُ الحوادثُ
إلا لأجد مبررًا
لحزني السرمدي.

الحزنُ صديقٌ جيد
اسأل الكتابة
ووجهك الحقيقي
لو نظرتَ المرآة.

أخافُ الانشغال عنه
فأفقده.
منْ يوقظكَ
لو نمت داخلي
يا حزن؟

أضحكُ
لئلا يحسدني العالمُ
على حزني
أبكي
لأروي عطش وحدتي.

الحزنُ خيْبتنا
الحزنُ حقيقتنا
موسيقى خافتة
لا يغطيها
كلّ ضجيج الفرح.

هل أنت بحرٌ أيها البحر؟

كلُّ هذه الأمواج
تخمشُ ظلّي.
دوامات الحيرةِ
تدور بي
تذوّبني
كأنني ضوءٌ
في كأسِ عتمة.

صخور الأحزانِ
تُحيلني
عن فتحِ ضحكتي.

كل الأيدي
التي تمتدُ داخلي
مثل قناديلٍ حيارى
تفشلُ في لسعِ
خيبة ولادتي.

منارات الأحلام البعيدة
تَلوحُ لي
لكن عيناي
مُصابتان بالدُّوارِ
من كثرةِ التحديق
في سوادِ طيني.

الأفقُ
يُخبئ عَجلةَ الشمسِ
كلما لامستُ سطحي
لأغرق وحدي
كثيرًا يشبه خطّ الأمل.

كلُّ هذا المجهول فيّ
وتقنعني أنك بحر!

البحرُ
حديثٌ بين شاطئين
ساعي بريد
لو سألت الزجاجة.

مثلك يا بحر
تدور الحيوات داخلي
كأسماك قرش
وتنهشُ ما تبقى
من القلب.

«يرتفع منسوب مياه البحر كل عام»
مثلك يا شاطئ
أقرأ وأضحك
خبر موتي البطيء.

كيف يروي الماءُ عطشه؟

لم ينفك الماء
عن صفعِ اليابسة
لكنها لا تفهم معنى النجاة.

الجزيرةُ
ماءٌ يصرخُ
في وجهِ البحر: لا.

عندما يَطولُ حزنُ الماءِ
منْ يقصّه؟

رفع القاربُ يدهُ البيضاء
مدَّ البحرُ ريحهُ
ليردَّ السلام
من هنا
جاءت فكرةُ الأشرعة.

ما القاربُ
إلا غيمةً سوداء.
هكذا يداوي البحرُ
خوفَ ابنتهِ السمكة.

القواربُ تقطعُ خشب البحر
وحدها الجُزُر
تلعب دور العُقَد.

مرساةُ الإنسانِ قلبه
منْ قطعَ جَنزيري؟

السمكاتُ نَجْمات البحر
البحرُ مرآة السماء
الماءُ مرآة الماء
هل تموت النجمة
لو قفزت؟

المِلحُ عرقُ البحر
البحرُ ماءٌ يركض.

الغريقُ قشةٌ
في عينِ غريقٍ آخر.

حين أغرقُ
هل يموت ظلّي؟

يرفعُ الغريق يديه
عاليًا
لا باحثًا عن قشّة
إنما مستسلمًا للماء.

ليس زبدًا هذا الأبيض
الذي يرميه الموج
إلى الشاطئ
إنه شهقات الغرقى.

طفتُ مثل صنارةٍ
لأصطادكَ
انغرستُ مثل طُعمٍ
لتصطادني.

جسدي مرٌ
ودمي مهدور
لكنني مستسلمٌ
فابتلعني
أيها البحر.

مشنقةٌ للحياة

يا حياة
أنتِ الثوبُ الوحيدُ
في خِزانةِ عمري
لا أقفُ عاريًا
ولا أصفعُ الباب.
لا أحجبُ عنكِ ظلي
لا أشغلُ حيزًا على رفّكِ
ولا أُكسّرَ خشبَ راحتكِ.
لِمَ لا تنتحرين
وتتركينني أبكيكِ
يا حياة؟

يا أيتها المتقافزة كحجرٍ
المُخادعة كمرآة
الغامضةُ مثل قنبلة
الواضحة كجثّة
أُبددُ دماء شكوكي
على سكاكينكِ
وأغرسُ تفاحةَ ندمي فيكِ
أنا الشجرة المُتجذِّرة
أنا شجرة الخطيئة.

يا حياة
طويتُ أحزاني وصفحاتِ البكاء
رتبتُكِ
كأنني عصفورُ عُشّكِ
ورميتني
غرفةً مَقلوبةً
كأن زوبعةٌ صفعتني
-غرفةً خربة-
لا تقوى كل أيدي العالمُ
على ترتيبها.

لِمَ تبدين قصيرةً هكذا؟
ما كلُ هذا الرمادي على شَعركِ؟
من خرّبَ كُحلَ عينيكِ
ليسقطَ كل هذا الليل؟
لِمَ تُسرعين هكذا
وتُشيحين وَجهكِ عنّي؟
من سرقَ الحياةَ منكِ
يا حياة!

هل تصفعيننا لنعرفكِ
أم أنتِ واضحةٌ هكذا
لكننا لا نَفْهمك:
مجردُ صفعات.. مجرد صفعات!

كل هذه الزجاجات
تتهشّمُ تحت عيوننا
ولمْ تَسكري بعد
يا حياة!

نحنُ شواهدكِ
نموتَ
لنُثبتَ أنّكِ كنتِ
مع هذا
لا تمنحيننا فرصةً أخرى.

المقابرُ
ندوبُ وجهِ الأرض
الأرضُ
مَقبرةٌ لم تكتمل.

نموت
واحدًا واحدًا
مقبرةً مقبرةً
محاولين إسقاطكِ
لكنكِ مُتشبثةً بكرسيكِ
يا حياة.

الليلُ ظلُ نهارٍ مات
النهارُ
ليلٌ لقِيَ حتفه.

أنا السؤالُ الذي رَميتهِ
بلا بوصلةٍ
فارتدَّ إليكِ
يبحثُ إجابةَ تيههِ
نَجِّني منكِ أيتها الهيولى
واتركيني أعانق حتفي
نَجِّكِ منّي يا حياة.

مقبرةٌ تشبه القلب

ليس على شكل قبضة يدٍ
أو بالونٍ أحمر.

وُجدَ القلبُ
كحائطٍ
ينزُّ الدمعَ
ومنهُ يصّاعد إلى العينِ
ناسيًا حزنه القانِئَ
في الداخل.

كلما رحل أحدهم
ترك صورةً شخصيةً
على هذا الجدار

وهكذا
بروازًا بروازًا
يصبحُ القلبُ مَقبرةً جماعية
بشواهدٍ مؤطّرة
إلى أن يَثقُل
ويسقط طين كتفيه
فيُدفَن الإنسان فيه
أو معه.

هكذا أبدو أمام الآخرين
محض جدارٍ
لا يُمكنه البكاء
ولا الضّحك.
حائط مبكى الحبيبات البعيدات
شمّاعةُ ندم الآباء
أريكة سقف الحزن
بابُ الوحدة الموصد
مُسمارٌ عريضٌ، لا يقربه خشبُ التّمني.

مُذ كنت صغيرًا
وأنا أحملُ أمّي
هكذا أهدتني موتها
على هيئةِ برواز كبير
حملتني سبع سنواتٍ
وحملتها إلى الأبد.

أين عدالتكِ يا مِطْرقة الكون!

مُذ غابت
وأنا منحنيًا كوردةٍ
جُبلتْ بلا طين.
ظلّ أبي يدفعني
بكفّه القوية كصَنوْبَرة
لكنّي لا أقوى على حملهما معًا
وظهري قد قُصِم
يا موت.

الصورُ
دموع الكاميرا.

تتقوّس ظهورنا
كلما مشينا
في عدسةِ الحياة
من كثرةِ الصور التي نحملها.

تدورُ الأرض
كشريطٍ سينمائي مكرر
والشمس متسمّرةٌ
في زاوية المشهد
كضوء Record
ملتقطةً حيواتنا.
ثم يأتي الليل
كـ Frame طويل
لاعبًا دور المرآةِ
لسوادِ أعمارنا.

الكاميرا
مشنقة اللحظات.

شمسٌ تغرب
أخرى تشرق
هكذا تسخر الحياةُ منّا
بفلاشها المزعج
ملتقطةً كومة صور
تُدعى العُمر.

على المرء أن يعيش
دون أحبّة
حتى لا يصبح شاهدة قبورهم.

أمّي أكلها السرطان
صديقي انتحر
عمّي مات
وأحبّائي طابورٌ ينتظر
كم تمنيت لو مُتُّ
من قسوة عناقهم.

الأشخاص الأجمل
من بين الذين عرفتهم
هم الذين رحلوا.

ضيف ثقيل

كضيفٍ ثقيلٍ
أحطُّ على جثتي
حتّى لا تأكلها مصيدةُ الحيرة:
ماذا أفعلُ هنا؟

لِمَ تبحثين عنّي
ولا تجدينني
كأنني ظلكِ في العتمة
يا وحدة.

يا ربّ الوَحْشة
هل نبحثُ عن غير ميتةٍ لِننجو؟

كرصيفين في طريق الدُنيا
لا نلتقي
ولا نفترق أبدًا
الموتُ، المسافة التي تحوُلُ بيننا.

كيف أقنع العالم
بأن حجارة الموتِ
تفقسُ داخلي
وما هذه الحياة
إلا ريشًا يتداعى؟

لو كان كل هذا موتٌ احتياطيٌ
أين تهرب الحياة منّا؟

يقولون أنّك مُتّ
يحاولون إثبات ذلك
بكذبةٍ بيضاء
تُدعى شهادة وفاة
لكنّي لستُ مجنونًا
لأُكذِّب عينيّ
وأُصدّق ورقة.

شطرنج

الحياةُ مصْيَدةٌ جوعى
والموتُ غرابٌ بائسٌ
يُصلح طينَ ما تُفسده.

بعد أن خلق الله الكون
نفضَ كفّيهِ
من الطين العالق بينهما
فسقطت زوبعة
تُدعى الحياة.

قلبُ الأسمنتِ بارد
الطّينُ يتغير
حين يحبَّ بصدق.

المقابرُ غُرَز المدينة
كم جرح
بقيَ على خدِّ الأرض
كي تكفَّ عن النّزيف؟

أزحتُ الرخامة
وخرجتُ إلى مسرح الحياة
من فوّهةِ العدم.
«عليك الرحمة»
صاحت أمّي
من القبرِ المجاور.

أين يدفنُ الطّين حزنه؟

تخدشُ عينَ الطّينِ
حبّةُ إنسانٍ
فتدمعُ نبتة.

قفز الجسد من شرفةِ الطابق 105
الروحُ تُدخّن باقي السيجارة
ولا تنظر للأسفل.

للنسيانِ صخبٌ
يسمعه الذين غابوا.

– هل سمعتَ عن قصيدةٍ انتحرت؟
– انظر سيلفيا بلاث.

لا ترشّوا الماء
على قبري
أخاف أن تنبت أحزاني.
(يقول الشاعر)

الحيُّ في المقْبَرة
هو الوحيدُ الميت.

ليس كتابًا على الرّف
ما يكتبه الشاعر طيلة عمره
إنَّما شاهدة قبر.

الحُجرة ضيِّقة هنا
ولا أحد يطرق الباب
ليْتَهم أحرقوا الجثة
بدل أن يدْفِنُوني.

تبعثُ أمي الرسائل لي
حتّى في عزِّ الليل.
بالمقابل أكتب لها
لكنها لا تقرأ
رغم أني أضعُ الرسائل بيدي
على قبرها.

أعرفُ أنه مغناطيسٌ كبير
لكن
لماذا يَجذب الثّابِتين في مواقفهم كالمسامير
قبل غيرهم
هذا الموت؟

الموتُ لا يُفرض
بل يموتُ المرءُ
حين يقدر على ذلك.

ليست الحياة
إلا تريلر
لفيلمٍ طويلٍ
اسمه الموت.

سيأتي يومٌ نَعلمُ فيه الحقيقة
أنّ الأرض رقعة شطرنج عملاقة
لِمُخرِجٍ ضَجر
ما زال يلعب وحده
رغم أنه ينتصر
مرةً تلو أخرى
غير آبهٍ بأمهات الجنود وصرخاتِ الفيلة.

تتنفسُ القصيدةُ بعد موتِ شاعرها.
متى سنتحرر؟
تسألني القصائد.

مناجاة

تتسمرُ عيناك صوبَ الجدار
-جدار وحدتك-
فيتحرك قلبي داخل البرواز.

النافذةُ
تهربُ من الجدار.

من فرطِ الوحدةِ
ينهارُ الجدارُ
فوق كومةِ تساؤلاته.

الطريقُ
تروحُ ولا تجيء.

من كثرةِ الوقوفِ
-انتظارًا-
اِنحنى ظهر عامود الإنارةِ.

هل أنا منْ ذهبتُ
لتتبعني
أم أنت من بَقِيَ تنتظر
يا موت؟

يا لتعاستي هنا
وسطَ الخيبة
لا أندُّ ولا أُلُوحُ.

جذْوة الشوقِ نسيان
وإبرُ الذكرياتِ
تنخزُ صوف الذاكرة.

أُقلمُ أظفار الغياب
لا لأراك
إنّما لأصافح كفَّ العدم.

يا بَدأنا
يا ربّ الوجود
لِمَ تحبسني فيَّ
فلا أركُض نحوي؟

لِمَ لا أكون شامةً
تَمورُ في صدرِ عذراء؟
أو نمشًا
يحطَّ على كتفِ ملاك؟
دهشةً
في شفاهِ السمعِ
أو صمتًا
في آذانِ القول؟

يا أيها العدم
يا مَحَضَنا
لِمَ حوّلتَني أنا؟

أنا المسافة والطّريقُ
ووقع الخطى
كيفَ أُضيِّع
ندم مجيئي؟

مددنا أذرعنا عاليًا
وهيّأنا فصول البكاء
دون أن تمرَّ علينا
دون أن تهطل
يا حزن.

ليست وحْدة
لكن مَنْ يَدُلّني عليْ؟

انتحال شخصية

مجد
هكذا اختار لي اسمًا
أثقل منّي
أبي الذي أرادني
أن أحمل اسمه
كحفنة ملحٍ
في بحر العمر.

لو أن أمّي تأخرت قليلا
لما ولدتُ حاملًا هذا الحوت
على كتفيّ
العملاق بما يكفي
لالتهامِ أحزان العالم.

ليست رويلا
بل راحلة
هكذا كانت تُدعى
أمي التي توفيت
عندما بلغتُ السابعة
حتّى تثبت اسمها.

ليست أسماؤنا
سوى شائعات
أطلقها علينا آباؤنا
-وللأسفِ-
صدّقوها.

ماذا
لو كنتُ أنا الظل
وذاك المُعتم جسدي
هل سأبدو حقيقيًا أكثر
أم سأخاف الضوء؟

لو ضاع اسمي
هل أشعر بالوحدة؟

مَجدي ليس في الحياة
لا شيء مُجديًا
أكثر من موتي.

هل تعرفُ المرآة اسمي؟

أقفز مثل كذبة
من أذنٍ إلى أخرى
لست مجدًا
أنا محض بورتريه
لجثةٍ تتنفس.

يا رواية الحياة
أنا لا أُتقنُ دوري
أرجوكِ
أريدُ النزول
عند هذه الصفحة.

من القاتل؟

الفارُّ
من حكم الإعدام شنقًا
ظلّ يخاف فكرة الأرجوحة.

الجثّة جانب سيارة مفخخة
لم ترفع اصبعها
متشاهدةً
بل تشير إلى الل...قاتل.

سيناريو يلعبهُ مرّة أخيرة
حتّى لو فشل
أمام جمهور العالم
لا، ليس قناص حرب
ولا ستارة مسرح
إنما ضحيّة الحياة.

الحيوانُ
إنسانٌ عاقل.
وُجِدت نظرية التطور
لتثبت أننا
كنّا يومًا.

جثةُ حب تتنفس

هي امرأة
تصافحُ بقلبها المآسي
وتطوي بيديها الليل
على عناقٍ طويلٍ من البكاء.

حين تقفُ في إطار الباب
كأنها لوحة تتنفس
وصوتها
-يا إله الموسيقى-
دافئًا وبعيدًا
وكأن له حياته المستقلّة.

أحرسُ نعاسها
وتشدُّ أطراف الملل
من سرير الوقت.
تتقنُ دورها كفزّاعة
لكل الندوب
التي تقضمُ تفاحة القلب.

تُطلُّ بحزنها المنسي
من نافذة العِتاب
وتموءُ عيناها
إذا الغياب جاء.

لكنها رحلت
-مثل أي قصيدةٍ-
لأنها تُحب أن تحيا
بلا شاعر.

ليل روما الطويل

نحنُ أبناء الليل
أولادُ عمّ الحزن
تقذفُ بنات الأفكار نوافذنا
فتسرِقُ من عيوننا النوم
تلوكنا الحياة كعلكة رديئة
ونعلقُ كابتسامةِ جنديٍ
في فمِ الطريق.

نحنُ أبناء الليل
وأنا أكبرُ اِخوتي
هكذا اختارني القدر.
أجوبُ الطرقات صباحًا
علّني أجدُ
ما يسدّ رَمق حزنهم

اِخوتي جوعى دائما
وبالبكاء وحده يَحيون.

أتبعُ القطارات
كأنني سكّة حديد
خطوات المشاة
كأنني رصيف
النوافذ الموصدة
كأنني عواميد إنارة
وقصص الحب كما قُبلة أخيرة
لكن الحائط نفسه يُقابلني
-دومًا-
ويستندُ إلى ظهري.

نحنُ أبناء الليل
نبحثُ عنّا خلف صفحات الخطيئة
وفي روما
لا وجود للشياطين
تقفُ الملائكة في المتاحف
وأبواب الكنائس

وبعضها يمشي بلا مللٍ
والناس ملائكة أيضًا.

يا مايكل آنجلو
اِنهض قليلًا
كي أُريك صورة ملاك حبيبتي
يا ليوناردو دا فينشي
تعال لنحظى بعشاءٍ أخير
يا أيها الندم
يا أب الأخطاء
نحنُ أبناء الليل
أمسك بأيدينا قبل أن نعضَّها
وقبل أن يتركنا
هذا الأب القاسي
المسمّى ليل.

صُبحٌ روماني

زجاجات البيرة الخضراء
تلمعُ تحت الشمس.
امرأة بقميصِ النوم
تبردُ أظفارها على الشرفة
وفي الجهة الأخرى
يقفُ الحزنُ بثوبه الشرقي
يعضُّ أصابعه.
الحمامُ لا يعبرُ خطَّ المُشاة
إلا حين تصيرُ الإشارة حمراء
والنوارسُ
تُبدِلُ ريشها
دون أن توصد النافذة.

جرس كنيسة سانتا ماريا
يدقُّ كل ساعة
والشموعُ تُشعلُ في المساء.
القطارُ يمرُّ سريعًا
كلحظات الحب الأولى
وجاك دانيال
ينامُ غير آبهٍ
في زجاجة ويسكي.

هكذا يكونُ شكل الصبح
في شارع كارلو آلبرتو.

مساومة عاطفية

حتّى تتذوق لون الوقت
ستحتاج لامرأةٍ
تشطُب القلق
من صفحاتِ خوفك
تنفُض الغُبار
عن الحجر العالق في صدرك
تُربّي كتفك على البكاء
تمسك يدك بضحكتها
تُطعمك حزنها الشّهي
آخر الليل.

والمرأة نفسها ستحتاجك
حتّى تنسى الرجل
الذي قفز للتّو
من شرفة قلبها
كعُقب سيجارة.

وَحدة

هاربٌ منّي
كما لو كنت انعكاسي في المرآة
لا أنتِ هنا
ولا عيناكِ
لأطرقهما بنظراتي
أو «أحبكِ» خجولة
ترفرف كندمٍ طازج.

يا أيتها الغائبة
في البعيد
كنافذةٍ مغلقة
ما أقربكِ
ما أبعدكِ!

من نارِكِ
تتولد الفراشات
وفيها أحترق
كما يليق لخيبةٍ
أن تنتهي.

يا شفتاها
أيتها القبلة الموقوتة
اقضمي أطراف الكلامِ
وأصابع الصمتِ
لأستحيل إلى أقاصي البلاغة.

لستُ شاعرًا
-فقط-
أبحث عن القصائد التائهة
لأسرقها من صمتها.

أعيريني صمتكِ
لأكون حقيقيًا
-لمرةٍ واحدةٍ-
على الأقل.

خمسة عشر منديلًا لطويِ دمعة

إلى حبيبتي البعيدة

I

الألمُ ينزلقُ من بين أصابعي
وفي البعيد
تبتلُّ صبّارةٌ على شرفتكِ.

II

أردِدُ اسمكِ
مرةً وراء الأخرى
كأنني أُقلبُ صفحات صمتي
حتى تَبْتلَّ حُنجرتي
ويروحُ ظمأُ المسافة.

III

حتى تُشطب كل هذه الظُلمة
عن المآقي
ويرينُ الدِفءُ
والقلبُّ يرْنو
فقط تحتاج لِامرأة
تضغط على يَدكْ
وتهْمس: أنا معك
إلى الصفحة الأخيرة
من رواية الحياة الساذجة هذه.

IV

سحابة تقفُ أمامكِ
تُغشي عينيْكِ
أزيحيها
حتى يَتبيَّن لكِ حبي
سحابة كثيفة من العَتَب.

V

عيناكِ بحرٌ
أنا ملحهُ
لأجْلي، لا تبكين.

VI

كنتُ أنام في عتمةِ الحزن وحدي
لكنها
-دون أن تَطرق الباب-
تسللتَ إلى غرفة قلبي هكذا
لتُضيء الحُبِّ
وتعلمني البكاء
حتى نُبلل الحزن لنَستَسيغه.
الحُبّ امرأة
تُعَلِمُك البُكاء
وتُشاركك حزنَ المساء
بشهيّة.

VII

سريعًا هربتِ
مع كومة هواء
وتركتني مُتأرجحًا في العتمةِ
قطعةً من الحزن.

VIII

قلبي قطعةُ عجينٍ
رمتها الحياة في فرن التكوين
وأنتِ الشعْرة
التي لا تَقْدِر كل أَيْدي العالم
نَزْعكِ منه.

IX

يداكِ ورقتا التوت
اللّتان أخبئُ خلفهما
ضحكتي الفالِتة ونُدوبي
اللّتان أمسحُ بهما
دمعي وأحزاني
الورقتان
اللّتان تكتُباني كما أنا
واللّتين أقرأُهما
إلى الأبد هكذا.
لِمَ لا تُصافحينني
لتنطَوي صفحة البكاء هذه؟

X

ليسَ مطرٌ يا حبيبتي
إنما النوافذُ
تبكي طَلَّتِك.

XI

نافِذتان نائمتان
تُطِّلان على العالم
يُعشِشُ حمام الحب على شرفتيهما
أرميهما بالنظرات والقصائد
صباح مساء
مهما بَعدت الجادّة.
نافذتان دافئتان
يَهطُل المَطرُ منهما
أتسلقُ إليْهُما القُبلات
وحينما تُفتحان
تَطيرُ الفراشات.
نافذتان مُتجاورتان
لو اِستيقظتِ الآن
لطُوِيَّت رائحة الليل

وقفزَ الصباح
نافِذتان صغيرتان جدًا
عيْناكِ.

XII

أن أُطوّق يديكِ
على نحوٍ حميم
وأنزع عنهما خواتم البرد
وأشطُب أساور الحزن
حول عينيكِ
وأُقلِدكِ ضحكتي
هذا ما يحدث
لو كنت معي الآن
في هذا الوقت من الوحدة.

XIII

تُلقين صورتي جانبًا
كي تَصحين
وأطوي حبكِ داخلي
لأنام.

XIV

الليلُ ينسابُ ببطء
والريحُ تعصفُ في رأسي.
ستائرُ المطر
تحول ما بيننا
حتى أنغمس في الأرق وحدي
لكنهُ صوتكِ الآتِ من خلف الظِلال
صوتكِ المورفين
الذي يُقويني
على وحشة الحياة هذي.

XV

أحملُ ضحكتكِ
مثل قِلادة
وألوِّحُ بها في وجه العالم
حتّى يهدأ.
ضحكتكِ
التي تُخيف بنات الأفكار
وأولاد الخوف
من الاشتِباك داخلي.
ضحكتُكِ التي تُقبِّلها المرايا
وتواعد الأطفال
والباعة المُتجوّلين.
ضحكتكِ
التي تركضُ منّي
وتُدوِّخني.

ضحكتكِ
التي تتقافزُ على كتفي الآن
حتّى أصْحى
وألقي «صباح الخير».

قُبل قُبل قُبل

ليست أذنٌ
إنها ممرُ قلبي السرّي
ولا عيناي
هما انعكاسكِ.

ليس دمعٌ
هذا الذي يَقْطُر
إنما عيناي تتعرقان
من كثرةِ الركضِ
في ممراتِ جمالكِ.

أغمضُ عينيّ
أثناء تقبيلكِ
لأراكِ فيّ
لأراني فيكِ.

بالمناسبة:
إذا كانت العيون
تُقبّل أولاً
كيف يُداوي الأعمى جفنيه؟

أشدُّ في عناقكِ
لا لتمتلئي بي
بل محاولًا
إدخالكِ قلبي.

تخلعين ملابسكِ
مدينةً مدينةً
فأتوه في خرائطكِ.
أنام فوقكِ
تحتكِ
على يمينكِ
أو يساركِ
هكذا أضبط بوصلتي.

كتابُكِ المفتوحُ
على رفِّ الشّهوة
المقروءُ
كلسانٍ يقفزُ من فمه
القلقُ مثل وسادة
النديُّ كوردة
يصيِّرني شاعرًا
يكتب الرعشة
بفمه.

69
كيف نغدو ساقية؟

الجنسُ
أقدم قصيدة حداثية
القُبلة
حفل توقيع الجسد.

تركضُ أصابعكِ النحيلة
في حشائشِ يدي
ووجهي
مثل غزلانٍ هاربة.
أظفارُكِ
تنحت ظهري
وغنجكِ المفرطُ
مثل هديلٍ
يمسكُ يد خصري
للرقص.

أخفي «أحبّكِ»
تحت بلاغة الأصابع
كيف تخرجُ
من قبعةِ الشفاه
وترنُّ أرنبة أذنكِ!

كيف تتلاشى أوتار كمنجتكِ
وأنتِ تهمسين: أُحبكَ؟

نهداكِ
ضابطان بقبعاتٍ وردية
لا تأسريهما
وفُكّي حدود الصدرية
واسجنيني أنا
فحبكِ سجنٌ
مليٌ بالحرية.

علامة استفهام

ماذا يفعلُ الذين لا يبكون
في الأوقات العصيبة؟

أين تذهب الدموع
عندما لا نبكيها ساعة الخيبة؟

متى يُفْطمُ السرطان
فيْكُفّ عن أكل صدور الأُمّهات؟

هل للنرجس أم للقرنفل
صرتِ سمادًا؟
كيف تسرّب الوردُ إلى حضنكِ
هل كان جزءًا من جسدكِ يا أمي؟

لماذا حين ألتَهِمُكِ
أجوعُكِ أكثر؟

كيفَ تُمطرُ الخِزانة
حين تُقبلينني؟

السيجارة، أم القُبلة
منْ أشعل السرير؟

بأي ماءٍ عمدتكِ الآلهة؟
أم أنتِ أفروديت؟

الشعر يحاكي ذاته:
أين ذهب محمود درويش؟

هل ثمة أُمْسِيَات شعْريّة للموتى؟

ماذا تفعلُ الشجرة
حين تَشعرُ بالبرد؟

هل يشمُّ الأعمى رائحة الليل؟

هل طلب التّحرّر من أحدهم
عبوديةً أخرى؟

هل هناك أتْعس من زنزانة؟

ما الفائدة من أن يُخلِّدَ المرء اسمه
طالما أنه سيموت في النهاية؟

إذا كان في بلاده الموحشة
غريبًا أيضًا
لِمَ لا يُهاجر؟

«أيْنَ تذهبُ الأصوات
حين لا يَسْمَعُها أحد؟»
يسأل سركون بولص.

هل وجدَ بابلو نيرودا
إجابةً لتساؤلاته
فمات؟
ماذا تفعلُ قُبَّعَتَهُ الأن؟

سؤالٌ
لا أنا
أو لا أحد
يعرف إجابته
نموتُ بحثًا عنه
-سؤالٌ معتمٌ جدًا-
يُدعى الحياة.

فزّاعة

نحنُ الغِربانُ الهاربة
لا تنفعُنا شجرة إصطناعيّة
-كالتي في بيوتكم-
للاحتفالِ عَشيّة رأس السنة.

نَحومُ فوق مداخنكم
وبين ألعابكم الناريّة
نَعيقُنا
يتردَّد في أشجار السَّروْ
التي سرقتموها منّا.

«غُرَابُ البَيْنِ»
تَصيحون حين تلمحون ظلالنا
على نوافذكم

فنطيرُ بعيدًا
وراءَ طير نوح.

نحنُ الطيور الموحِشة
نؤنِّسُ وحدةَ بيوتكم الخَرِبة
وفزَّاعاتكم
في الحقول البعيدة
تطردوننا عن أبراج الحمام
وموائدكم وأحلامكم
ذريعةَ أننا نُنْذر بالشؤم.

نحنُ الطيورُ السوداء
نطيرُ حول شَجرتكم الملوّنة
-فقط-
لنُفسد تَوَقُّعات أبراجكم
ونسرقُ جيفة أحلامكم البيضاء.

برواز ناجٍ من الحرب

الشوارع مُقفِرة الآن
والبردُ ببطءٍ
ينخرُ الأقدام الهزيلة
والعظامَ التي صارت مكاحل.

الضوضاءُ الكسولة
لم تخرج من النوافذ الخشبيّة
المُلطّخة
بالدماء والصَرخات
التي تُفضي إلى خريفٍ من الجثث.

البابُ لم يأز متثائبًا
رغم أنه لم يُفتَح منذ زمن.
الغيومُ تَمر من فوق حَيِّنا

دون أن تُمطر
رغم تبخر دموعنا.

أقودَ جثتي متباطِئة
كي لا أتعثّر بالمطبّات الصِّناعيّة
التي صارت من قبور.

«يديكِ خلف رأسكِ،
وعلى ركبتيكِ بسرعة.»
هكذا كان يُلاعبني طفلي
رافعًا سِلاحه البلاستيكيّ صَوْبي
تمامًا كما قَتل أبيه
أخي الذي اِنتمى لجماعة إرهابية.
طفلي الذي احترق سلاحه
وصورته الأخيرة
تمامًا كقلبي
عندما غَرِقَ مع سفينة التهريب
إلى مالْمو.

إنهُ اليوم الآخير
للمرأة الوحيدة في حلب
التي ستعودُ لمَقعدها الفارغ
في الإطار الخشبيّ
جوار عائلتها.

كان هذا آخر ما تذّكرتهُ
المرأة التي نامت
قبل أن تبدأ الحرب.
كان أول ما رأته
المرأة التي استيقظت
بعد أن اِنتهت الحرب.

مسخ

تسيرُ الأشياءُ على غير عادتها
غريبًا جئتُ وسأبقى
في هذه المدينة الموحشة
لهذا أطرق الباب
قبل أن أخرج إلى الحياة
غير منتظرًا
يدًا تُحرِّك المِزلاج
أو تُربّت
على كتف حزني.

«لا تخرج هكذا
اتْرُك قلبك هنا»
تقول أمي
فمسرحية الموت في أوْجها.

حبيبتي تُعلّق عينيها عليَّ
دون أن أتعرفها
فالسواد
انثال من كل صوبٍ.

المسخُ يتجول بلحية تَيس
راكلاً من يرفع رأسه
أو يلوّح للسلام
والشوارع مقفرة خدر الخوف.

البارحة ذُبح أخي
دون أن تتوعك سَكينة الشارع
لأن الموت
يوزّع بالمجان.

أسلكُ دربًا نحو المجهول
مُقتفيًا رائحة
تُشبه الحرية
فلا نمضي في الحياة
إلا بحثًا عن حفرنا الضائعة
نحن الجثث المتحركة.

لباقة

إذا صادفت لاجئًا، أبدًا لا تسأله:
لِمَ تحمل حقيبة؟

خطأ فادح

أنا الرجل الذي مات
لأنهم قد ظنوه ميتًا
بدلًا من أن يَقلوني
إلى سيارة الإسعاف
دسّوني في شاحنة الموتى.

تقيأت داخل جوفي
من رائحتي
وكتلِ اللحم المحترق.
صرختُ مرارًا
لكن القذيفة التي فشلت في قتلي
سَلبت صوتي
لتدوّي به.

أشعرُ بأصابع يدي
أسفل قدمي
وقدمًا جانب عنقي
وأنا لستُ فرانكشتاين
لأنهض.

السماءُ ملئى بالغيوم
والله يبكي.

لم أكن لأفرح
لو عشت بجسدٍ
لا يُشبهني.
الموتُ لا يحزنني
لكن أن يكون ذلك أجمل
كأن أموت بسكاكين الورق
بينما أُقلبُ دفاتر أحزاني.

أيًا كانت الطريقة
لا يهم
فكل الطرقِ
تنتهي بحفرة.

الطريقُ تسير من تحتي
وأنا أبتعد
المقابرُ ملأى
وأنا لن أموت
لأصير حجرًا
يتعثر في مقبرة.

كتبوني في نشرةِ الأخبار
بطلًا.
ألقوا بي في المقبرة الجماعية
أشلاء.
شَنقوني على الحائطِ
ألبوم صور.
على منديل حبيبتي
دموع.
صدحوا باسمي في زغاريد أمي
شهيد
دلقني الطيّارُ
برميل دم.

وحدهُ العشب فوق القبر يدري
-وحده يدري-
أن القصيدة تنبتُ
لا تموت.

اعترافات شاعر مغمور

أنا رجُلٌ بائسٌ
لا يهتمَّ بالأعيادِ
وأوراق الروزنامة
ولا يفكّرُ
في أمسية رأس السنة
أو امرأةٍ
يحتفلُ فوق صدرها
نوع قنينة الكحول لا يَهُمْ
ولا علبة التبغ
فليس لديّ ما أنساه
أو أتذّكره.
أفكاري الغبيّة عن الحب
احترقت
لأن حبيبتي تُدخن الأيام وحدها

ووحدي
أفركُ الرماد عن عينيّ.
لستُ مثقفًا ولا شاعرًا
موسيقى بيتهوفن تُزعجني
وشارب سلفادور دالي لا يُعجبني.
أكتبُ نفسي
ولا شيء أكثر سّوريالية من حياتي.

أنا الصّعلوك
الذي لا يتحدث عن الشعر طوال الوقت
لا أُدعى للأُمسيات
ولا أحد يطلب توقيعي
لا أُصادق شعراء ما بعد بعد الحداثة
كي لا يُزعجونني
بذرِّ تعليقاتهم السخيفة
باسم النقد.

أصادفهم في البارات الرخيصة
والشوارع المظلمة
أناقشهم في الطبخِ

في النِكّات الرديئة
في كل شيءٍ
عدا الشعر.

أكْتُبُ الشعر
للمجانين وعُمّال النظافة
لأختي البعيدة
وعازفي الموسيقى
في شوارع بروكلين
لحبيبتي التي لا تملكُ حساب فايسبوك
للجارة البعيدة
التي لا تعرفُ القراءة.

لا أملكُ ألعابًا نارية
ولا زينةً مُلوّنة
أنا أرُومةُ الشجرة
التي لا تصلُح
أن توضع جانبها الهدايا.

شتاء ينقر ذاكرة الرصيف

في الليالي الماطِرة
في ليالي الشتاء البَهيمة
تُعد ربات المنازل
لمقاعد السُفرةِ الفارغة
الحساء.

يتجمهرُ العابرون
تحت ظلِ بنايةٍ مهجورة.

يَسرقُ النادلُ دفء الكوبِ
في طريقهِ
إلى العجوز المنسي
في ركن المقهى.

يَستمَدُ المغترب الدفءَ
من الذكريات التي تَنقرُ نافذته
لا من قِنّينة الفودكا.

يُفكر الشاعرُ
الذي تَنفك خيوطِ الدخانِ
من فمهِ
في كتابةِ قصيدةٍ
عن دموعِ الإلهِ
التي تُغرقنا.

في الليالي الماطرة
تنسربُ حبةَ مطرٍ يتيمةٍ
أسفلِ ظهري.
تُلطخ ثيابي عجلاتُ عربةٍ مسرعةٍ
وحلًا.
تُدركني بركةَ الماء
فأجدُ وجه حبيبتي الملائكيّ يترقرق.

أُفكرُ في اعتلاءِ عمود الإنارةِ
الذي يَتجسسُ على شُرفَتِها
في أن أدسَّ وجهي
في كَنزَتِها الصُوفيّة
في أن أتكوّرَ بين كَفّيها.
أفركُ جِفنيّ
فأرى أمي
وتَسري بي رَعدةٌ باردة.
تَرعدُ السماءَ
فتَشيهُ الملامح
لأجدني وسط الأسفلتِ
غارقًا وحيدًا.

كذبةٌ بيضاء.. لقاءٌ أسود

إلى أمي رويدا،
أول من طَرقَ ذاكرتي الشعرية

كنتُ كلما أسألُه عن أمي
يهمسُ بأنها نائمة
وأنهُ يجب عليّ إخفاض صوتي.
كان أبي يدسُّ الوسائد
تحت الغطاء في كل ليلةٍ
ويشعلُ شمعة
وحين أُلحُّ عليه
يشقُّ الباب قليلًا
فيأزُّ، فينزعج:
ألم أخبرك أنها نائمة!

في الصباحِ
يُعدُّ لنا الفطور
والحقائب المدرسية
ثم يوقظني واخوتي:
لقد ذهبت أمكم إلى العمل
دون أن تُقبلوها،
كانت تريد أن تفطر معكم،
يا لكم من كسالى!

وعندما نعود
يُخبرنا بأنها نائمة
فنجدُ شالها
وحقيبتها على الكنبة
فيأخذُ كلٌ منا
حصته من الحلوى
ويذهب إلى غرفته.

هكذا كان يُخفي علينا
خبر موتها.

في ليلة الإِختبار
كان يطلب منا أن نجتهد
كي تفرح أمي
وتأخذنا إلى الحديقة
كنا نعرفُ أنه يكذب
لكن ذلك
أهون من الحقيقة.

في الحربِ
رفع أبي سماعة الهاتف
ثم طلب منا ارتداء ملابس العيد
وأخبرنا أن أمي تنتظرنا.

عاد إلى الداخل مسرعًا
بينما وقفنا عند الباب
ننتظره
أخذ دمية أختي الصغيرة
وشد عليها اللحاف
خلع معطفه
وتركه جانب أمي

وطلب منا
أن نترك دفئنا على الأسّرة
وأمسك بأيدينا
وما إن أغلقنا الباب
حتى دوّى صوتًا قويًا
ورأينا أمي
رأيناها بجناحين.

كومبارس

يا الله
لَمَ لمْ تجعلني نجارًا
يحتطبُ الذكريات
ويحرقها في فرنِ البال
كما خشبةٍ يابسة.

أو صيّادًا
يقنص طرائد أحزانه
ويرمي فروة الخوفِ
على شمّاعة البكاء.

أو رسّامًا
يرمي وجوه أعدائه
على القماش
ويقتلهم بضربةِ ريشة.

أو مُغنيًا
يدور مثل دوريٍّ
حول أشجار الصوت
تاركًا أعشاشًا
تؤنس عتمة الهواء
تداوي خوف الصمت
وتُفرّخَ الأغاني لرئة الأذن
أعشاشًا
تُسمى موسيقى.

أو طبيبًا
يشرحُ جثّة الموت
يُمسكُ قلب حبيبته
بين يديه
ويصرخ في أذنه:
يا مجنون
توقّف
-توقف عن القفز-
أريد أن أنام.

أو إسكافيًا
يرتقُ وحشة الطرقات
يُصلحُ الأيدي
التي تُدلِّكَ ظهرها.
يكنسُ الغبار
عن ضحكاتِ الأحذية.
يفهمُ لغة الخطوات
مثل طريق
ولا أحد يصافحه
إلّا بقدمه.

أو حارس مقبرة
يمسح دموع الشواهد
ويواسي الجثث الطازجة:
غدًا ستحاولون الحياة
-فقط-
لتموتوا مرّةً أخرى.

أو ساحرًا
يرمي ملاءة حمراء
فوق رأس الحرب
لتختفي
ويضحك الجنود.
أو يخدع الأمل
بلعبته
ودائمًا ينجح
في جعله يختار
القبضة الفارغة.

أو نبيًا
يُسامر الغيوم
ولا يموت من فرطِ تساؤلاته.
يقرأ سورة التهليل
نحو محرابكَ
وتكون معجزته
الرقصُ على الجراحِ
بقدمٍ واحدة.

يا الله
تمنيت أن أكون كل شيء
-أي شيء-
إلا أن يأكل التمنّي أصابعي
فلا يبقى أمامي
إلا أن أكون شاعرًا.

محاولة نجاة

أنا آسفٌ
لأنني دخلتُ الكنيسة
احتماءً من المطرِ
والمسجد
باحثًا عن حذائي
لا لأجلكَ.

كلما دنوتُ
من عتبةِ اليقين
سحبتْ الأسئلة سجادتي
نحو الشّك.

دائمًا
أبحثُ عنك
لكن إن لم أجدك
ما ذنبي أيها الرب؟

نرفعُ أيدينا عند الدعاءِ
حتّى تمسك بها.
أناديكَ
أناديكَ
إيلي إيلي
هل تسمعني؟

وقفتُ على الشرفة مرّة
ثم قفزت
لكن وجدتني بالداخل
هل كنت أنت أيها الرب؟

جرّبتُ الصلاةَ
قرأت كتابك الأفق
ورتّلتُ سورة التسبيح
لكنّي لست نبيًا
لأراك.

اتهمتك بقتلِ أمي
مع هذا
لجأت لكَ عند خوفي
فهل غضبت منّي؟

لا أحبُ التكدّس
والنّاس
فهل يمكنني
ألّا أشهد القيامة؟

ألعب دوري السيء
وأتذمّر دائمًا.

حتّى لو كان هذا كلّه
من كتابتك
أنا أسامح روايتك
فهلّا غفرت لي شِعري؟

فهرس

هذا الديوان 5
اعتذار..... 11
مفتتح 15
حزنٌ يبحث عن جسده 17
هل أنت بحرٌ أيها البحر؟ 19
مشنقةٌ للحياة..... 26
مقبرةٌ تشبه القلب 31
ضيف ثقيل 36
شطرنج..... 38
مناجاة 43
انتحال شخصية 47
من القاتل؟..... 50
جثةُ حب تتنفس..... 52
ليل روما الطويل 54
صُبحٌ روماني 57
مساومة عاطفية..... 59
وَحدة 60
خمسة عشر منديلًا لطويِ دمعة..... 62
قُبل قُبل قُبل..... 79
علامة استفهام 84
فزّاعة..... 88

برواز ناجٍ من الحرب 90
مسخ 93
لباقة 95
خطأ فادح 96
اعترافات شاعر مغمور 100
شتاء ينقر ذاكرة الرصيف 103
كذبةٌ بيضاء.. لقاءٌ أسود 106
كومبارس 110
محاولة نـجاة 115

AN INCOMPLETE CEMETERY

مقبرة
لم تكتمل

المقابرُ
ندوبُ وجهِ الأرض
الأرضُ
مَقبرةٌ لم تكتمل.

نموت
واحدًا واحدًا
مقبرةً مقبرةً
محاولين إسقاطكِ
لكنكِ مُتشبثةً بكرسيكِ
يا حياة.

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
على مكتبة نيل وفرات . كوم
WWW.NWF.COM

دار خطى للنشر